تعتبر برغواطة من أخطر الحركات التي قامت بالمغرب الإسلامي خلال القرن الثاني للهجرة، لان قيامها ارتبط بعقائد هدامة منافية للإسلام، وكل باحث إلا وينسب تلك العقائد إلى جهة معينة، سواء كانت لليهود أو للبوذيين أو المسيح والى غيرهم من الديانات، واتهم أغلب هؤلاء برغواطة بالهرطقة والخروج عن الدين، وفي هذه المحاضرة سنتعرف على برغواطو وأصولها وكل ما يتعلق بتاريخها.

أولا : أصول برغواطة :

هناك العديد من الآراء التي عالجت أصل برغواطة، ومنهم صاحب كتاب اخبار مجموعة الذي يرى ان برغواطة تنتسب الى قبيلة زناتة، ويرجح ظهورها الى سنة 127 هـ / 744 م ويرى أن ملكهم استقر باقليم تامسنا[1] بالمغرب الاقصى، أما ابن خلدون في تاريخه فيذكر أن أصلهم يعود الى قبيلة مصمودة[2]وهناك من يرى أن برغواطة عبارة عن خليط من القبائل المختلفة، ومنهم ابن أبي زرع[3] والسلاوي الذي قال أن برغواطة من قبائل شتى ليس يجمعهم أب واحد [4].

ساهمت حملات عقبة بن نافع الفهري وموسى بن نصير في نشر الإسلام في مناطق استقرار برغواطة، فقد ترك لهم موسى بن نصير أثناء حملته بعضا من الرجال يعلمهم شرائع الإسلام تقدر

---

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بـ: ليون الافريقي، وصف افريقيا ، ج1، ط 2 ، ترجمة : محمد حجي ، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 م، ص 194 ، هامش (5).

[2] عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المُسمى ديوان المُبتدأ والخبر في خبر العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق : خليل شحادة ، سهيل زكار،ج 6 ، دار الفكر، بيروت، 2000 م، ص 116 وما بعدها .

[3] علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المُطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، المغرب، 1972 م، ص ص 130 – 131 .

[4] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، كتاب الإستقصا لدول المغرب الأقصى، الدولتان المرابطية والموحدية، ج 2، تحقيق : جعفر الناصري ، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418 هـ / 1997 م ، ص 16 .

المصادر عددهم ب سبعة عشر رجلا[1]، وقد بلغت هذه الدولة من القوة والإتساع، ماجعل حدودها تمتد الى سبتة وطنجة زمن الحاكم سكوت البرغواطي[2].

كان للموقع أهميته في إثبات برغواطة بأن تكون قوة كبيرة في المنطقة، وحتى ان تكون مملكة لها كيانها ووجودها الخاص بالمغرب الاسلامي ، بل ان قوتها بلغت قوة بعض الدول التي عاصرتها كالدولة الرستمية في تاهرت، وبفضل العوامل الطبيعية التي نشات داخلها كالجبال الشامخة المحيطة بها في اقليم تامسنا او حتى الظروف الاقتصادية التي جعلتها تبقى صامدة الى العصر الموحدي، فابن حوقل اشار الى ان اقواما من سجلماسة والسوس وآغمات كان يفدون اليها بغية التجارة[3]، وقد كان لتحالف برغواطة مع كثير من القبائل وتحويفها عن العقائد السليمة للاسلام دور في تدعيم مركزها السياسي مثل قبائل جراوة وزواغة والبرانس ومطغرة ومطماطة وعدد البكري فرسانهم بعشرة الاف فارس[4].

ثانيا : نشأة الدولة :

يعود الفضل في تأسيس دولة برغواطة إلى طريف بن شمعون الذي انتقل من الأندلس إلى المغرب الأقصى قبل الفتح الإسلامي أو بعده، ونزل في منطقة تامسنا مضارب المصامدة، ثم اعتنق الإسلام في عهد ولاية موسى بن نصير للمغرب، وحين اشتداد ثورات البربر على ولاة بني أمية (97 – 132 هـ 715 / 749 م) اعتنق المذهب الصفري على شاكلة ميسرة المطغري، هذا الأخير الذي

[1] ابن عذري المراكشي ، البيان المغرب في أخبارالأندلس والمغرب، ج 1، ط 3، تحقيق،ج . س. كولان ، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983 م، ص 42 ، أنظر أيضا، الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقيا والمغرب، تحقيق : محمد زينهم محمد عزب، دار الفرحاني للنشر، تونس، 1414 هـ/ 1994 م، ص 52 .

[2] البكري، المصدر السابق ، ص 87 .

[3] أبي القاسم بن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992 م، ص 83 .

[4] البكري، المصدر السابق، ص 141 .

ثار على ولاة الأمويين بالمغرب، واستوزر طريف بن صالح في المغرب الاقصى[1]، وصالح هذا كان له تأثير كبير على البربر بواسطة الحيل والسحر كما تذكر المصادر[2].

ثالثا: حكام دولة برغواطة :

1 ـ طريف بن شمعون :

كان طريف بن شمعون الساعد الأيمن لميسرة المطغري بالمغرب أثناء ثورات البربر الصفرية على ولاة بني أمية، لكن وكما هو معلوم لقي ميسرة مصرعه على يد اتباعه، ماجعل طريف ينسحب الى اقليم تامسنا، ويمكث هناك تمهيا لاقامة دولة، وكان ابنه صالح قد تولى هذا الاقليم من قبل ميسرة، بحيث اوصى قوما من زناتة بان يحسنوا اليه وكتب اليهم كتابا بذلك[3]، ومن هنا يمكن القول ان اهل تامسنا كانوا قد ارتبطوا بصالح بن طريف ارتباطا وشيقا.

كان طريف بن شمعون قد انسحب الى تامسنا سنة 122 هـ / 739 م ودعا لنفسه للملك بين أهلها وكانو كما يذكر ابن عذاري والبكري يعانون من الجهل الشديد، فبايعه اهل المنطقة وقدموه على انفسهم، فانتهز ثقتهم به وبدا يشرع لهم الشرائع الجديدة[4]، ولم تذكر المصادر سنة وفاة طريف بن شمعون، اما ابن عذاري فيذكر انه توفي بعد مدة وجيزة وخلفه ابناؤه بعده[5] .

2 ـ صالح بن طريف البرغواطي :

استمر طريف في حكم برغواطة نحوا من الست سنوات ، وخلفه ابنه على الحكم سنة 127 هـ / 744 م[6]، ويؤكد ابن الخطيب في هذا الصدد ان صالح بن طريف هو الذي شرع لقومه الشرائع

---

[1] ابن الخطيب، أعمال ...، ج 3، ص 181.

[2] نفسه، ص 182 .

[3] ابن الخطيب ، المصدر السابق،ص 181 .

[4] ابن عذاري ، المصدر السابق، ج 1 ، ص 224 ، أنظر أيضا ، البكري ، المصدر السابق ، ص 135 .

[5] ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 224 .

[6] ابن الخطيب ، المصدر السابق، ص 183 .

الخارجة عن الاسلام[1]، وان كان بعض المؤرخون ينسبون قيام الدولة الى صالح بن طريف[2] ،ومهما يكن من أمر فان ابن الخطيب[3] يؤكد على ان على ان نهاية حكم صالح لبرغواطة ينتهي بشكل غريب بحيث انه رحل الى المشرق في اخر حكمه واوصى ولده الياس بان يوالي حكام الاندلس من بني أمية وان يحافظ على عقيدة برغواطة، بل انه زعم لابنه بانه المهدي المنتظر وبانه سيعود في حكم السابع من سلالة برغواطة وانه المهدي الذي يقاتل الدجال في اخر الزمان وان عيسى عليه السلام سيكون من رجاله الذين يصلون خلفه .

ويجدر بنا هنا الإشارة الى ان صالح كان ظليعا في السحر والكهانة حيث يذكر ابن الخطيب انه " رحل الى المشرق وقرا على عبيد القدري المعتزلي واشتغل بالسحر فمهر فيه وقدم المغرب فاستمل من لقيه بم اظهر من الاسلام والزهد والورع فاستهواهم بالنيرجات والحيل والسحر فاقروا بفضله واعترفو بولايته فولوه على انفسهم"[4]، ومن الواضح ان سذاجة البربر هي التي جعلت هذا الفكر يتسرب يتسرب الى عقولهم، كما ان التعاليم التي سنذكر بعضها لا تمت بصلة الى الاسلام وتوضح في الآن نفسه أن لا علاقة لصالح هذا بالاسلام .

3 ـ الياس بن صالح بن طريف :

تولى حكم برغواطة بعد وفاة صالح ابنه الياس، وقد تميز بالعدل والزهد والورع وفق ماذكرته المصادر التاريخية، كما كان من نصيبه دخول الكثير من أبناء زناتة[5] في طاعته، وامتد فترة حكمه لازيد من خمسين عاما[6]،و خلفه ابناؤه فيما بعد وكانت وفاته سنة 176 هـ / 792 م[7].

4 ـ يونس بن الياس بن صالح :

---

[1] نفسه ، ص 182 .

[2] البكري ، المصدر السابق ، ص 135 ، أ،ظر أيضا ،ابن ابي زرع ، المصدر السابق، ص 83 .

[3] ابن الخطيب ، المصدر السابق، 184 .

[4] نفسه، ص 182 .

[5] نفسه ، ص 184.

[6] ابن عذاري ، المصدر السابق، ص 224.

[7] ابن الخطيب ، المصدر السابق، 184.

كانت ليونس هذا رحلة الى المشرق طاف بها على علماء الكهانة والتنجيم والسحر، وكان في صحبته جملة من اتباعه منهم العباس بن ناصح وزيد بن سنان الزناتي الواصلي وغيرهم وكان هدف هؤلاء الاستزادة من العلوم المذكورة سابقا[1]، وفور عودته الى وطنه تظاهر هو واصحابه بالتقوى والورع، لكنه سرعان ما ازال الستار عن اهدافه الحقيقية، اذ قام بالتوسع على حساب المناطق المجاورة، كما انه أعاد " اظهار ديانته جده ودعا اليها[2] ".

وبشهادة البكري الذي أورد فان يونس طلب علم الكهانة وعلم النجوم والجان وخاض في الجدال واخذ كل ذلك عن غيلان الدمشقي، ثم سافر الى الاندلس التي بث فيها أفكاره بين قوم من زناتة هناك لما راى من جهلهم وسذاجتهم، حيث اظهر ديانته وادعى النبوة[3]، وقد اتضح في عهده لفظ البرغواطي اكثر حيث كان يطلق على اتباعه اسم البرباطي، ثم ما لبث ان تحول الى برغواطي[4] .

في فترة حكم يونس اتسم عهده بالشدة والعنف على كل من، فقد كان يقتل كل من لا يتبع ديانته، حيث تذكر المصادر انه اقبل على قتل الف من صنهاجة وحدها[5]، وقد انتهى عهد الياس الذي تميز كما ذكرنا سابقا بوفاته بعد ان حكم تسعة عشر سنة، حيث توفي سنة 195 هـ / 810 م[6].

5 ـ أبو غفير محمد بن معاذ بن اليسع :

توفي يونس وانقطع نسله من حكم برغواطة وتولى الحكم احد احفاد طريف من ابن اخر وهو اليسع[7]، هذا الأخير الذي نجح في صد الادارسة وابعاد خطرهم عن تامسنا ، وكانت بينه وبين ادريس ادريس الثاني وقائع عظيمة[8]، لكنه لم يلبث ان توفي سنة 230 هـ / 844 م على حد تعبير ابن

[1] البكري ، المصدر السابق ، ص 137.

[2] ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص 224.

[3] البكري ، المصدر السابق ، ص 138 .

[4] نفسه ، ص 138 .

[5] ابن عذاري ، المصدر السابق، ص 224.

[6] ابن الخطيب، االمصدر السابق، ص 185 .

[7] ابن عذاري ، المصدر السابق، ص 224 ، أنظر أيضا ، البكري ، المصدر السابق ، ص 136 .

[8] ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ... ، ج 3 ، ص 186.

الخطيب الذي عدد سنين حكمه ب خمس وثلاثين سنة[1]، وقد كان سفاكا للدماء مثل سلفه يونس حيث يذكر البكري أنه غزا مدينة تيمغسن واثخن السيف في أهلها تمانية أيام قتل منهم الكثير حتى اشرئبت سيوفه من دمائهم[2] .

6 ـ أبو الأنصار عبد الله بن ابي الغفير :

تصفه المصادر بأنه كان شخصية قوية، حيث في عهده استقرت الأحوال ببرغواطة، وكان يسير الحملات تباعا لحفظ دولته وكان يقيم مراسم خاصة لجنده وحشمه واهل بيته حتى هابته القبائل وطلبت وده، وقد دام حكمه اثنين وأربعين عاما وتوفي في سنة 342 هـ / 953 م، ودفن في مدينة تامسلاخت[3] .

7 ـ أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار عبد الله :

كانت علاقته جيدة مع خلفاء بني أمية في الأندلس وذلك بوصية من والده أبي الأنصار الذي حثه على توثيق العلاقات مع هؤلاء خاصة في عهد الخليفة الحكم المستنصر الأموي (350 – 366 هـ / 961 – 976 م) ن بحيث ارسل أبو منصور سفارة رسمية الى بلاط الخليفة المستنصر سنة 352 هـ/ 963 م يقودها عيسى بن داوود المسطاسي[4]، ويدل هذا على ان دولة برغواطة بلغت مبلغا عظيما خلال العصر الوسيط بين جيرانها من الدول، وكما يذكر البكري لم يتوقف الحد عند هذا بل إن ابا منصور ادعى النبوة[5]، يمكن الإشارة ونحن في حديثنا عن برغواطة أن أمورها السياسية تعقدت مع بداية القرن الرابع الهجري وذلك عائد إلى ظهور قوى جديدة على السياسية المغربية كان لها الأثر في إضعاف كيان برغواطة.

---

[1] ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ... ، ج 3، ص 186.

[2] البكري ، المصدر السابق ، ص 136 .

[3] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص ص 186 – 187.

[4] ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص 223 .

[5] نفسه ، ص 225 .

رابعا: الفكر العقائدي لبرغواطة :

يعود تحريف الإسلام الصحيح لدولة برغواطة لصالح بن الطريف هذه الشخصية المتقلبة التي شرعت لاتباعها عقائد جديدة خارجة عن نطاق الإسلام، بحيث ادعى النبوة وان قرآنا جديدا انزل عليه غير القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وكان يزعم لاتباعه بانه هو صالح المؤمنين الذي ذكر في القرآن[1]، كما انه ادعى النبوة ، وادعى انه المهدي المنتظر، وان اسمه موجود في جميع الأديان السماوية [2].

يذكر البكري ان قران صالح بن طريق كان باللسان البربري وانه يحتوي على ثمانين سورة اغلبها منسوب الى أسماء الانبياء[3]، كما انه شرع لاتباعه خمس صلوات في الليل وخمس في النهار، ووضوع غير وضوء الصلاة المعروف، كما اختلق الكثير من الكلام اثناء الركوع والسجود[4]، اما بالنسبة للصيام والزكاة فقد خصص شهر رجب للصيام، اما الزكاة فقد اعفى صالح اتباعه منها وخصص لهم العشر[5]، كما انه اباح لاتباعه بالتزوج من النساء كيفما شاؤوا، وشرع لهم قتل السارق، وحرم عليهم اكل راس كل حيوان وحرم اكل الأسماك الا اذا ذبحت وحرم عليهم اكل البيض وذبح الديك لقداسته، كما منع عنهم الآذان واكتفوا في معرفة الوقت بصياح الديوك[6].

خامسا : نهاية دولة برغواطة :

كان للمرابطين الفضل الأكبر في القضاء برغواطة كدولة لكن اتباعها من الثوار بقوا الى غاية دولة الموحدين ومنهم محمد بن هود الماسي الذي ثار بناحية سلا سنة 542 هـ/1147م، لكن عبد المؤمن أرسل اليه جيشا بقيادة الشيخ ابي حفص قضى على ثورته، كما قام على الموحدين شخص

---

[1] البكري ، المصدر السابق ، ص 136 ، أنظر أيضا، سحر السيد عبد العزيز سالم،من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993 م، ص ص 46 – 47 .

[2] البكري ، المصدر السابق ، ص 135 .

[3] ابن ابي زرع ، المصدر السابق، ص 84.

[4] للمزيد حول عقائد برغواطة، أنظر، سحر السيد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 47 ومابعدها .

[5] البكري ، المصدر السابق ، ص 138 .

[6] سحر السيد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 48.

يدعى بالصحراوي سنة 543 هـ/1148 م بناحية سبتة وتمكن ايضا عبد المؤمن بن علي من القضاء على ثورته[1].

[1] ابن عذاري، البيان ...، قسم الموحدين، ص ص 26 – 32، أنظر أيضا، ابن ابي زرع ، المصدر السابق، ص 123 ، السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص ص 110 ، 113 .